سلسلة كتيبات شبكة بينونة

القراءة

ثقافة ورقي

الشيخ
علي بن سلمان الحمادي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

القراءة

ثقافة ورقي

القراءة

ثقافة ورقي

الشيخ
علي بن سلمان الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أيها الإخوة الأفاضل إن الأمة الإسلامية أمة علم وهداية وفلاح، افتتح الله رسالتها بقوله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، ففي هذا الأمر الإلهي لهذه الأمة بالقراءة وفي مبدأ رسالتها خير دليل علىٰ أهمية القراءة، وعظيم مكانتها، ومنزلتها من الدين، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سمىٰ في كتابه سورة باسم القلم، وافتتحها بقوله: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] ليدل علىٰ علو شأن القلم والكتابة؛ لأنه عَزَّوَجَلَّ لا يقسم إلا بعظيم، ولم يطلب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من

رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الزيادة من شيء إلا من العلم فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فكفىٰ بهذا شرفًا وفضلًا للعلم أن أمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن يسأله المزيد منه، سواء كان ذلك العلم متعلِّقًا بأمور الدين، أو متعلقًا بأمور الدنيا في معاش الناس وحياتهم.

وإنه غير خافٍ علىٰ كل عاقل أن تحصيل الزيادة من العلم، والمعرفة، والثقافة لا يتم إلا بالقراءة والمطالعة، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عرف قدر القراءة والكتابة من الدين فرض علىٰ من ليس له فداءٌ من أسرىٰ بدر تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة، فإن فعلوا ذلك فك أسرهم.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا منزلة القراءة والكتابة: **«التَّعْلِيم بالقلم الَّذِي هُوَ من اعظم نعمه علىٰ عباده إِذْ بِهِ تخلد العُلُوم وتثبت الحُقُوق وتعلم الوَصايا وتحفظ الشَّهادات ويضبط حِساب المُعامَلات الواقِعَة**

بَين النّاس وبِه تقيد اخبار الماضين للباقين اللاحقين ولَوْلا الكِتابَة لانقطعت اخبار بعض الازمنة عَن بعض ودرست السّنَن وتخبطت الاحكام ولم يعرف الخلف مَذاهِب السّلف وكانَ مُعظم الخلَل الدّاخِل علىٰ النّاس فِي دينهم ودنياهم إنمايعتريهم من النسْيان الَّذِي يمحو صور العلم من قُلُوبهم».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«فجعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فجَعَل لهم الكتابَ وعاءً حافظًا للعلم من الضياع، كالأوعية التي تحفظُ الأمتعة من الذَّهاب والبطلان. فنعمةُ الله عَزَّوَجَلَّ بتعليم القلم مِن أجلِّ النِّعم»** [1].

أيها الإخوة **القراءة ثقافة ورقي**، لو تأملنا من حولنا، وأمعنا النظر في واقع الأمم والدول، لرأينا أن القراءة ارتقت بكثير من تلك الدول، وكانت أحد أهم أسباب التقدم العلمي، والازدهار الحضاري، كيف لا! وهي

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ط عالم الفوائد (٢/ ٧٩٢) - ابن القيم (ت ٧٥١).

مصدر الوعي في المجتمعات، وأساس نمو العقل، وسبيل لتزكية الأفراد بكريم الأخلاق، وجميل الطباع، ولهذا قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن يقرأ في تاريخ الحضارة الإسلامية يجد أنها في زمن من الأزمنة بلغت من العلوم والفهوم ما لا يُدرك له قعر، وزَخَرت مكتباتها بآلاف مؤلفة من الكتب والكراريس في مختلف العلوم، فصارت تلك الحضارة الفريدة في زمن من الأزمان جزءًا من الحضارات التي مرت علىٰ البشرية، وسطرت معالمها في سجلات التاريخ، وما ذلك إلا لأن القراءة والمطالعة نزلت في نفوس أهلها منزلًا عظيمًا، ووقعت في تشريعاتها موقعًا كريمًا.

لقد حظيت الحضارة الإسلامية هذه المنزلة، وهذا الشرف، وهذا التقدم والازدهار في ذلك الزمن؛ لأنها بُنيت علىٰ سواعد أُناس عرفوا قدر العلم، وعرفوا

قدر القراءة والكتابة، سطَّروا أروع القصص في تفانيهم ولهثهم في طلب العلم، وحرصهم الشديد علىٰ تدوينه حتىٰ آثروا المشقة علىٰ الراحة، وآثروا الجوع والزهد علىٰ الترف وطيب طعام.

فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرحل من مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ مصر علىٰ بعير من أجل أن يسمع حديثًا واحدًا خاف أن يموت قبل سماعه، فيسمعه من علىٰ الباب، ثم يرجع من وقته ولا ينزل، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: **«بلغني حديث عن رَجُلٍ من أصحابِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فابتَعتُ بعيرًا، فشَددتُ إليه رَحْلي شهرًا، حتىٰ قَدِمتُ الشامَ، فإذا عبدُ اللهِ بنُ أُنيسٍ، فقُلْتُ للبوّابِ: قُلْ له: جابرٌ علىٰ البابِ، فقال: ابنُ عبدِ اللهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فخرَج يطَأُ ثوبَه فاعتنَقَني واعتنَقْتُه، فقُلْتُ: حديثًا بلَغني عنك أنَّك سمِعْتَه من رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القِصاصِ فخشيتُ أن تموتَ**

أو أموتَ قبل أن أسمعَه»[٢].

القصد أن هذا الصحابي الجليل قطع هذه المسافات الطويلة في المدة الطويلة من أجل أن يسمع حديثًا واحدًا ليتثبت منه، وكان عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: **«ولو أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بكِتابِ اللهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»** [٣]، وقال ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: **«كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل للنسخ والمقابلة، قال: فأتينا يومًا أنا ورفيق لي شيخًا، فقالوا: هو عليل -يعني مريض-. فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا، قال: فاشتريناها، فلما صِرنا إلىٰ البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ -يعني جاء وقت الدرس الثاني- فلم يمكننا إصلاحها، ومضينا إلىٰ المجلس، فلم نزل**

---

(٢) أخرجه أحمد (١٦٠٨٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٠٣٤)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ٣٤٨).

(٣)أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣).

حتىٰ أتىٰ عليه ذلك السمك ثلاثة أيام وكاد أن يتغير -يعني يفسد- فأكلناه نيئًا، ولم يكن لنا فراغ أن نعطيه لمن يشويه، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **لا يُستطاع العلم براحة الجسد»** [٤]، فهذا الجهد، وهذه الهمم نموذج لذلك الجيل الذي نشأت فيه أفضل حضارة، وأرقىٰ حضارة للمسلمين، وهي حضارة الأندلس، فهي خير شاهد علىٰ أثر العلم، وأثر القراءة والكتابة علىٰ الازدهار والتقدم، حتىٰ ذاع سيطها، وفاح أثرها عبر التاريخ، وظلت محطَّ نظر وإعجاب حتىٰ يومنا هذا.

أيها الإخوة بعد أن عرفنا أهمية القراءة، ودورها الكبير في نمو العقل، وازدهار الدول، وقيام الحضارة، نعرض علىٰ عجالة أهم الأسباب التي تعين المرْءَ علىٰ القراءة النافعة، فمن أهم الأساليب لإشاعة ثقافة القراءة:

● **أولًا**: تصحيح النية، لا بد للمرء أن يصحح نيته،

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (ج١/ ٩)..

وكما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّما الأعْمالُ بالنِّيّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نَوىٰ**» (٥)، فإذا صحح الإنسان نيته وأخلص لله عَزَّوَجَلَّ فإنه يثاب علىٰ هذا الفعل، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل في القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور لما لا يعجز عنه البدن من العمل**» (٦).

● **ثانيًا**: وطن نفسك أيها المسلم وأخي المسلم علىٰ القراءة، لا تجهد نفسك في أول الطريق، وأبدأ من القراءة اليسيرة التي تلائم حالك، وتناسب تخصصك، وتتوافق مع فهمك وإدراكك، فإن ذلك أنفع لك وأجدر أن تدوم عليه ولا تنقطع، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(٥) أخرجه البخاري (١).

(٦) صيد الخاطر (ص٣٣).

« **يا أَيُّها الناسُ! عليكم من الأعمالِ ما تُطِيقُونَ، فإنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتىٰ تَمَلُّوا، وإنَّ أَحَبَّ الأعمالِ إلىٰ اللهِ ما دُووِمَ عليه وإن قَلَّ** » (٧)، أي: ما داوم عليه صاحبه، وإن كان قليلًا.

● **ثالثًا**: خصص وقتًا للقراءة، فإن ذلك من أهم ما يعين علىٰ القراءة والمداومة عليها، فإن تخصيص الوقت للقراءة أمر مهم للمداومة عليه، فاجعل لنفسك وقتًا يكون من أولوياتك، ولا تزاحمه بشيء، وعود نفسك علىٰ ذلك فستجد أنك تأقلمت عليه، بل إن اليوم الذي يفوتك ولم تقرأ فيه شيئًا ستجد أنك فقدت شيئًا عزيزًا عليك.

● **رابعًا**: وأختم به هذه الوصايا - نَوِّع في القراءة، فإنك قد تجد من نفسك فتورًا يصرفك، أو تثاقلًا يُعيقك عن مطلوبك فلا تستسلم، بل اكسر حاجز الفتور بتنويع

(٧) أخرجه البخاري (٥٨٦١)، ومسلم (٧٨٢) مطولًا واللفظ له.

القراءة، فإذا كنت تقرأ مثلًا في كتاب بحاجة إلىٰ تركيز وفهم فانتقل إلىٰ كتاب سلس وسهل إذا جاءك الفتور؛ ليزيد من حصيلتك العلمية والثقافية ويُبْعِد عنك الفتور والملل حتىٰ ترجع إلىٰ كتابك الأول بنشاط وحيوية.

هذه بعض الوصايا المهمة التي أحب أن أقدمها إليكم أيها الأفاضل فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يجعلني وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ، والعفاف والغنىٰ، اللهم ارفع عنا البلاء، واشف مرضانا ومرضىٰ المسلمين ومرضىٰ الناس أجمعين، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة للعلوم الشرعية